الخطب المنبرية

الاقتراب بالسجود

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الخُطبَةُ الأُولَى

إِنَّ الحَمْد لله، أحمده سبحانه جَلَّ في عُلاه، وأَتوَلَّى مَنْ تَوَلَّاه. وأشهد أَلَّا إِله إِلَّا الله وحده لا شريك له شهادةً تُبَلِّغنا رِضاه، وأشهد أَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله ومُصطفاه، صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وصَحْبه ومَنْ والاه.

أَمَّا بعد:

أَيُّها المؤمنون؛ اتَّقوا رَبَّكم، اتَّقوا رَبَّكم وكُونوا مع الصَّادقين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر].

﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [النِّساء:١٣١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران].

واعلموا - رَحمكم الله - أَنَّ النَّاسَ بِهم فاقةٌ شديدةٌ، وحاجةٌ عظيمةٌ؛

ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر]؛ فوَصَف سُبحانه نفسَه بالغِنَى، ووَصَفَ خَلْقه بالافتقار إليه.

وفي الجَمْع بينهما بيانُ أمرين:

* **أحدهما:** كمال الخالق بِغِناه، ونَقْص المخلوق بفَقْرِه.

* **والآخر:** أَنَّ حصول غِنَى العبد الفقيرِ لا يكون إِلَّا باسْتِمْنَاحه العطاءَ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَسَدُّ حاجة الخَلْق وإغناؤُهم يكون بعبادتِهم رَبَّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وتَتَجَلَّى تلك العِبادة: في مَقام طَلَبِ القُرْبِ منه عَزَّوَجَلَّ؛ فإِنَّ العابِدِين اللهَ يَبْتغون القُرْبَ منه.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القُدسيِّ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»[1].

فأَخْبَر سبحانه أَنَّ مِن التَّقَرُّب الَّذي يحصل به الغِنَى: التَّقَرُّب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالفرائض تارةً، وبالنَّوافل تارةً.

وأَكْمَلُ تلك القُرَبِ: هي القُرَب الَّتي تجمع في أحوالها بين الفريضةِ

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والنَّفل؛ فإنَّ أوامرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تكون تارةً فَرْضًا، وتكون تارةً أخرى نَفْلًا.

ويكون مِن تلك القُرَب: ما جِنسه الفرضُ تارةً، وما جِنْسُه النَّفْل تارةً.

ومن تلك القُرَب: السُّجود لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنَّه يكون فَرْضًا في أحوالٍ، ويكون نَفْلًا في أحوالٍ أخرى.

ولجلالة هذا؛ أُمِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأَنْ يكون مِن تَقَرُّبِه لِرَبِّه: السُّجود له سبحانه؛ فقال تعالى في خاتمة سورة العَلَق: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق].

فمِمَّا يحصل به القُرْب مِن الله عَزَّوَجَلَّ باجتهاد العبد فيه: السُّجود له سبحانه؛ ولهذا أَمَر الله عَزَّوَجَلَّ به في مواضعَ عِدَّةٍ إفرادًا وعمومًا:

فقال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان].

وقال تعالى: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلت:٣٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجّ].

فَذَكَر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأمرَ بالسُّجود في مواضِعَ عِدَّةٍ؛ لجلالة ما فيه من طَلَبِ القُرْب إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ المأمورِ به في آخِر آيةٍ من سورة العَلَق في قوله

تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق].

وإِنَّ السُّجود لله عَزَّوَجَلَّ مِن أَجَلِّ الأحوال الَّتي يحصل بِها القُرْب له عَزَّوَجَلَّ.

وفي هذا: قال النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»(١)؛ فإذا سَجَدَ العبدُ كان مُقْتَرِبًا إلى الله، قريبًا مِن رَبِّه عَزَّوَجَلَّ.

وإِنَّما خُصَّ السُّجود بهذا لجَمْعه بين أمرين:

- **أحدهما**: في الفِعْل.

- **والآخر**: في القول.

فأَمَّا الفِعْل: فذاك أَنَّ العبدَ يجمَعُ نفسَه مُنطَرِحًا بين يَدي الله عَزَّوَجَلَّ، مُلْصِقًا جَبْهَتَه وأَنْفَه على الأرض، ثاوِيًا بأركانه وأعضائِه عليها؛ وذلك غايةُ الخضوع؛ فإِنَّه لا تُوجَد صورةٌ في الخضوع أعظمُ مِن كَوْنِ العَبْد مُنطَرِحًا بين يَدَي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، مُلصِقًا نفسَه للأرض؛ فصارَ هذا الفِعْل مُقَرِّبًا لله عَزَّوَجَلَّ، جاعلًا العبد قريبًا مِن الله.

وأَمَّا القَوْلُ: فذاك أَنَّ العبدَ في سجوده يقول: (سبحان رَبِّي الأعلى)؛ فهو إذا طَأْطَأَ رأسَه وخَفَضَ بدنَه، أعلن أَنَّ العُلُوَّ كُلَّه لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فيقول: (سبحان رَبِّيَ الأعلى).

وبِجَرَيان هذه الكلمات على لسانه، يستحضِرُ أَنَّ كُلَّ عالٍ فالله أعلى منه،

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٤٨٢)، من حديث أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأَنَّ كُلَّ عظيمٍ فالله أعظمُ منه.

فلمَّا اجتمع هذان المعنيان في الفِعْل والقَوْل، صار العبد في سجوده أقربَ ما يكون إلى رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا هُيِّئَ للعبد أَنْ يكون قريبًا من الله، فإنَّه ينبغي أَنْ يغتَنِم قُرْبَه في أعظمِ شيءٍ فيه؛ وهو دعاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولذلك قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المُتَقَدِّم: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[1].

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَمَّا السُّجُودُ: فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»[2]؛ أي جديرٌ أَنْ يُستجابَ لكم.

فإذا حَظِي العبدُ بقُرْبِه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سجوده خاضعًا له؛ فإنَّه ينبغي أَنْ يغتنمَ سجوده بِدُعاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأَنَّ الدُّعاء بعد السُّجود خضوعٌ بعد خضوعٍ؛ فهو خاضعٌ في فِعْلِه بسجودِه، وخاضعٌ في قوله: (سُبحان رَبِّيَ الأعلى)، ثُمَّ يزداد هذا الخضوعُ خضوعًا بسؤالِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ودعائِه.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

---

(١) تقدَّم تخريجُه.

(٢) أخرجه مسلمٌ (٤٧٩)، من حديث ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ العظيم لي ولكم، فاستغفِرُوه؛ إِنَّه هو الغفور الرَّحيم.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة

الحمد لله رَبِّ العالمين، رَبِّ السَّماوات رَبِّ الأرض، رَبِّ العرش العظيم. وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله وحده لا شريك له، هو الحيُّ الَّذي لا يموت، وأشهد أَنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَنْ تَبِعهم مُحسنًا إلى يوم الدِّين.

أَمَّا بَعْد:

أَيُّها المؤمنون!

إنَّ التَّقَرُّبَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ غِنَاءُ فاقَتِنا، وسَداد حاجتنا.

ومِن أعظم التَّقَرُّب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: السُّجود له؛ كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق].

وفيه أُمِرْنا بالدُّعاء، وَوُعِدْنا بالإجابة؛ فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَمَّا السُّجُودُ: فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»[2].

---

(١) تقدَّم تخريجُه.

(٢) تقدَّم تخريجُه.

وهذا السُّجود المأمورُ به له ثلاثةُ مقاماتٍ:

✓ **المقام الأوَّل**: سجود الصَّلاة.

✓ **والمقام الثَّاني**: سجود التِّلاوة.

✓ **والمقام الثَّالث**: سجود الشُّكر.

فهذه المقامات الثَّلاثةُ يتَحقَّق بِها السُّجود لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأَمَّا السُّجود في الصَّلاة: فهو أعظمُها وأَجَلُّها؛ ويكون تارةً فَرْضًا في الصَّلوات الخمس المكتوبة، ويكون تارةً نَفْلًا في سائر الصَّلوات النَّوافل؛ فيَتَقَرَّب العبد لِرَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ساجدًا له في صلاته.

وأَمَّا سجود التِّلاوة: فهو السُّجود في المواضع الَّتي جُعِلَت لذلك في القرآن الكريم؛ فإِنَّ في القرآن مَواضعَ يسجُد فيها العبدُ استحبابًا، ويكون هذا تارةً في الصَّلاة، وتارةً خارج الصَّلاة.

فإذا قَرَأَ آيةً وَافَقَ فيها سجودًا استُحِبَّ له أَنْ يسجدَ؛ إِنْ كان في صلاةٍ سَجَدَ في صلاته، وإِنْ كان خارج الصَّلاة سَجَدَ خارج صلاته.

وأَمَّا سجود الشُّكر: فهو أَنْ يسجُدَ العبد إذا حَصلَتْ له نعمةٌ غيرُ مُتَوَقَّعةٍ لم تَجْرِ بِها العادةُ، فيسجُدُ العبد شُكْرًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فاطلبوا - أَيُّها المؤمنون - قُرْبَكم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالسُّجود له في هذه المقامات الثَّلاثة.

وَاعْلَموا أَنَّ أَوْلَاها بالاعتناء: السُّجودُ في الصَّلاة؛ لأَنَّها فَرْضٌ علينا.

وقد تَقَدَّم قولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الحديث القُدْسيِّ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»[1].

فتَقَرَّبوا لِرَبِّكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالسُّجود له في المقامات الثَّلاثة المذكورة آنفًا، وَاحْرِصُوا على السُّجود في صلاتكم؛ فتَعَاهدوها.

وَاعْلَموا أَنَّ تَفْوِيت أحدِنا الصَّلاةَ = تفويتٌ للقُرْب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنا تَقْواها، وزَكِّها أَنت خيرُ مَنْ زَكَّاها، أَنْت وَلِيُّها ومَوْلاها.

اللَّهُمَّ إِنَّا نسألك الهُدى، والتُّقَى، والعَفافَ، والغِنَى.

اللَّهُمَّ اجعَلْنا مِن عِبادك السَّاجِدِين، اللَّهُمَّ اجعلْنا مِن عِبادك السَّاجِدين، اللَّهُمَّ اجعلنا من عِبادك السَّاجِدِين.

اللهمَّ أَحْيِنا على (لا إِله إِلَّا الله)، وأَمِتْنا على (لا إِله إِلَّا الله)، وَاحْشُرْنا جَميعًا في حِزْبِ (لا إِله إِلَّا الله).

اللَّهمَّ احفظْنا بالإسلام قائِمِين، واحفَظْنا بالإسلام قاعِدِين، واحفَظْنا بالإسلام نائِمِين.

---

(١) تقدَّم تخريجُه.

اللَّهمَّ أحْيِنا على خير حال، وَتَوَفَّنا على خير حال، وَاقْلُبْنَا جميعًا إلى خير المآل.

اللَّهمَّ وَفِّقْ وليَّ أمْرِنا بتوفيقِك، وأَيِّدْه بتأييدك، وَارْزُقْه البِطانةَ الصَّالحة النَّاصحة، وَجَنِّبْه بِطانة السُّوء.

اللَّهمَّ فَرِّجْ كُرَبَ المَكْرُوبين، ونَفِّسْ هموم المهمومين، وَاقْضِ الدَّيْن عن المَدِينِين، وَاشْفِ مَرَضَنا ومَرْضانا ومرضى المسلمين.

والحمد لله رَبِّ العالمين.